التذكار المئوي

للمرسلين العازريين في دمشق

بقلم الخوري مبارك ثابت اللبناني

٢

العهد الثالث

١٨٦٠ - ١٨٦٥

صار ابتداء الهجوم على حي المسيحيين في منتصف الشطر الثاني من نهار ٩ تموز سنة ١٨٦٠ . فوجهت اولاً دار قنصلية روسية ، ثم انتشر الثائرون في الحي يحرقون ويذبحون ، واحمد باشا في القلعة يتفرج لا يأمر ولا ينهي . الّا ان صالح زكي بك امير الآلاي استقلّ بالامر ، فصبَّ الجندُ مطرة رصاص على المدمّرين واطلقوا عليهم قذيفة مدفع فتراجعوا. وقبل ان يفرقوهم نُفخ في البوق ، فارتدّ العسكر الى الثكنة ، والسفاحون الى المذبحة . ورجال عبد القادر يخطفون الفرائس من ايدي الفاتكين ، وقد وقعت مهابتهم عليهم ، فكان الواحد يخفر ٢٠ مسيحياً ولا يجرؤ احد على التصدّي له . ولما ضاقت دار الامير باللاجئين ، فاوض المشير احمد باشا فآواهم في القلعة وقد ناهز عددهم العشرين الفاً من مسيحيي الشام والفازعين اليها من اهل حاصبيا وراشيا والقرى المجاورة.

وكان الناس حتى الصبيان يعدون في الشوارع ذهاباً واياباً صائحين: اقتلوا ، انهبوا ، اسلبوا ، لا تهابوا الحكومة ولا العسكر فانه لن يتصدّى لكم احد. فاسرفوا في ذلك واحرقت الكنائس والاديار وكل مباني العازريين والعازريات، ودور القناصل ، ما خلا داري قنصلي روسية وانكلترة.

ولمّا اضطر قائد القلعة لفتح ابوابها للفاتكين ، وكان جندياً باسلاً عادلاً وتقياً . وكان المرسلون العازريون ممن نُقلوا الى القلعة ، وقع الخوف على جميع

من فيها ولاسيما اهل حاصبيا الذين ذُبح اخوانهم في سراي الحكومة كأهل دير القمر ، فخلا الاب ناجان بالقائد ونبّهه الى الخطر وقال : «ان هؤلاء المروَّعين كلهم في ذمتك». فانتصب القائد ورفع رأسه شهامة ونزاهة وقال : «انا جنديٌّ وعلى الجندي الطاعة فافتح الابواب . غير اني اكبر شيمةً من ان أُريق دم جماعة عُزْل لا يقاتلون.»

ثمَّ انه فتح الابواب ونصب فيها مدافع محشوةً رصاصاً وحديداً ، تحدّث وهي صامتة ، عمّا يصنعه القائد بالمحاصرين اذا حرّكوا ساكناً . فلما رأى المحاصرون منه ذلك وقع عليهم الرعب ورجعوا يتعثرون باذيال الفشل . ومكث الخائفون في القلعة يصاولهم الجوع اكثر من شهر . وكان في دار الحكومة كاتب يُدعى محمود شريف افندي سأله الاب ناجان ان يعمل لاعاشتهم فوعده ان يهتم بجميع المنكوبين حتى يوم مسيرهم الى بيروت . والحّ القناصل على الوالي فأمر بتوزيع القوت . ومما كتبه الاب ناجان في ذلك قوله: «قامت الحكومة التركية بتوزيع القوت يومياً على اولئك الجياع التعساء . وجاءتهم الصدقات من كل انحاء اوربة وبلغ ما تصدّقت به فرنسة وحدها من نقد وميرة خمسة ملايين فرنك .»

استمرت المذبحة ثلاثة ايام وثلاث ليالٍ فقدّر عدد القتلى بثلاثة آلاف نسمة وقدرهُ بعضهم بخمسة آلاف نسمة من الدمشقيين واللاجئين الى دمشق . وقدرت البيوت المحرقة بالف وثلاثمئة بيت ، والخسائر بمليون ونصف مليون ليرة .

وخلع فؤاد باشا احمد باشا والي دمشق ، وارسل عوضه والياً جديداً اصحبه بالف وسبعمائة جندي بقيادة خالد باشا فبلغوا الشام في ١٦ تموز . وفي ٢٩ منه قدم المدينة فؤاد باشا ، فارسل أحمد باشا الى الاستانة مخفوراً ثم ارسل خورشيد باشا لا بصفة سجين . واخذ يسترد المنهوبات ويقبض على بعض المجرمين ؛ الّا انه لم يقبض الا على ٧٥٠ مجرماً والف متجلٍ لمحاكمتهم فحكم عليهم احكاماً مختلفة . ولمّا أُنفذ حكم الموت باحدهم قتل المسلمون مسيحياً بدمه ، واذاعوا انهم سيقتلون مسيحياً كلما قتلت السلطة مسلماً . ولم

يكن مسلم يشهد على مسلم بقتل مسيحي. وفي ٢٣ آب بدأت السلطة بانفاذ الاحكام في المجرمين فلم يُقتل منهم سوى ٥٧ مجرماً ، اما الباقون فنفي بعضهم وسجن البعض الآخر.

امّا المنكوبون فارتحلوا الى بيروت بخفارة رجال عبد القادر وبقي في الشام ٨٠٠٠ مسيحي اوآهم فؤاد باشا في حيّ من احياء المسلمين ، وكانوا ينتقلون اليه من القلعة فوجاً فوجاً ، ولم تفرغ منهم القلعة حتى اواسط ايلول.

وفي اواسط آب اخذت البعثة العسكرية الفرنساوية تفد تباعاً الى بيروت وبلغ عدد الذين وصلوا منها خمسة الاف جندي منهم مائتا فارس ، ولديهم مدافع جبلية وكل معدات القتال . واعيد احمد باشا الى دمشق ليحاكم مع المتهمين فانتهى اليها في ١٥ اب . ثم انفذ فيه حكم الموت خفية ، وكذلك في بعض الضبّاط.

ولمّا علم اهل البلاد بقدوم العساكر الفرنساوية ارخ روع المسيحيين وابتهجوا في جميع الانحاء ، وجعل الدروز يهاجرون الى حوران ، وتوارى بعض الزعماء ، وبعض مسلمي بيروت ممن كانت لهم يد في المذابح . واتفق الجنرال بوفور قائد البعثة الافرنسية مع فؤاد باشا على الاشتراك في ما يجب اعتماده من التدابير لمعاقبة المجرمين ، وردّ المسلوبات ، والتعويض على المنكوبين ، واقرار الامن في البلاد واصلاح الحال . فتمكنا من بعض الغرض وكشفت المخاوف عن الناس ، وانتهت الاحداث باعطاء لبنان نظامه الجديد المعروف بفضل مساعي دول اوربة.

امّا البعثة الافرنسية فمكثت في الاراضي السورية الى شهر حزيران عام ١٨٦١ ، وارتحلت في اليوم الخامس منه . وكان الاب ناجان العازري قد نُصب مرشداً روحياً لجنود البعثة فسافر معهم الى فرنسة . ثم عاد الى دمشق وقُلّد الرئاسة . فاستأنف عمل الرسالة وشرع يرمّم دير المرسلين ودير الراهبات . وتمكن من فتح مدرسة البنات عام ١٨٦٤ ، واستأجر لها ثلاث معلمات . وكان نجازهُ من ترميم الديرين في كانون الثاني سنة ١٨٦٥.

* * *

العهد الرابع

١٨٦٥—١٩٢٩

في عاشر شهر آب من هذه السنة ظهر الهواء الاصفر في دمشق منقولاً من مصر والاسكندرية ، حيث تفشى ومات به خلقٌ كثيرٌ ، فبطش بالدمشقيين وفتك . فبعثت الحكومة الافرنسية ثلاثة اطباء وصيدلياً اجابة لالتماس قنصلها المسيو جرود ، فنزلوا على العازريين وتفاوضوا في وسائل مقاتلة الوباء . وسهلت لهم الحكومة السبيل الى استعمالها . امــا الادوية فكانت توزّع مجاناً بنفقة القنصلية الافرنسية . وما زالوا على ذلك حتى خفت وطأة الوباء وسُدّ بوجهه مذاهب الانتشار . وما هي ستة اشهر حتى تقلص ظله الثقيل .

وفي ثامن شباط من السنة التالية فتحت مدارس المرسلين للذكور بثلاثة صفوف تولى تدريسها الاخوان كات وقنسان . وعهد بتدريس العربية الى الاب نخّاس ، كاهن سوري يُعرف « بابونا ميكال » ، وولي مراقبة الدروس الاب زيلت . وفي نهاية السنة المدرسية ترأس حفلة الجوائز القنصل الفرنساوي ومن حوله حاكم المدينة والقائمقام والقاضي . وكان هذا الدأب في ما تلا من السنين .

وفي ٢٥ اب من تلك السنة قدم الاب دومون والاخ برقه ، فقاما بمهنة التعليم عاكفين عليها بنشاط من العزم وارتياح من الطبع . وفي خامس تشرين الاول احتفل بتدشين الكنيسة السيد قالركا وكان بطريركاً اورشليمياً وقاصداً رسولياً في سورية ، بحضور المطران مكاريوس . وفي مذكرات الاب تاجان كلام عن حفلة طواف بالقربان الاقدس في ١٤ نيسان سنة ١٨٦٧ قال : « مشى الموكب الى كنيسة الروم الكاثوليك فكنيسة السريان واجتاز بجي مصباح وبالقديس حنانيا . فلم تشهد دمشق مثل ذلك الطواف بما فيه من كثرة الحشد ومجالي العبادة والتمسكن في الايمان منذ قرون . »

وكان ان الاب تاجــان اضطر للرجوع الى فرنسة سنة ١٨٦٨ انتجاعاً للعافية ، اذ كان قد نزل بجسمه الوهن لمواظبته ما شقّ من الاعمال . فلما ظفر بضالته عاد الى دمشق ، ومعه ثاني راهبات من بنــات المحبة برئاسة الاخت

بيكو ، وهي التي كانت رئيسة الدير زمن حوادث سنة ١٨٦٠ . فلمّا بلغن ابواب الشام ارسل الامير عبد القادر لهنَّ مركباته ، ولم يكن في دمشق من مركبات غيرها في ذلك الزمان. فاقلّتهنّ من محطة الداليجانس الى حارة النصارى واستقبلهن الدمشقيون بفرح واحتفاء عظيمين ، ولم تمضِ سنتان لمجيئهنّ الّا انتظمت احوال الاخويات والراهبات وعادت المياه الى مجاريها.

ثمّ ان المطران مكاريوس اتى الى الاخت بيكو ببنتٍ يتيمة مهملة فقبلتها فجيء بكثيرات من امثالها ففتح الميتم للبنات وعاد الى احسن حال . ومضى الراهبات يصنعن ضروب الاحسان الى الشعب غير ناظراتٍ الى اختلاف الاديان فكان اليهود والمسلمون والروم الارثوذكس والكاثوليك من كل طقس يصيبون من احسانهنّ ، واجدين عندهن دواء لعللهم وتخفيفاً من الكروب . فقالت الاخت بيكو في بعض مكتوباتها : « كان المسلمون يروننا اناساً لا كسائر الناس ويفوتهم فهم ما يرونه عندنا من طريقة الحياة ، غير انهم يعدونها طريقة فريدة وسامية.»

ومن نكد الطالع ان هذه الرئيسة الحكيمة الفاضلة لم يطل عمرها فوافتها المنية في سن الخامسة والخمسين . فأقيم لها مأتم حافل شهده الحبران يعقوب مطران السريان ومكاريوس مطران الروم الكاثوليك ، وبعض رجال الحكومة وقناصل فرنسة وانكلترة والنمسة ، واعيان البلد ، وخلقٌ كثير . فدُفنت مكفنة بالاكرام والرحمات والدموع.

ثم زحف الهواء الاصفر على المدينة بجيش من الهول يضرب بصارم الفناء. فامتلأت قلوب الناس ذعراً وفرّ من وجهه اسرٌ كثيرة ، ولعبت ايدي التشتيت بالدارسات فاقفلت الراهبات المدارس وتقاسمن احياء المدينة متهالكات في خدمة الموبوئين وعلاجهم ، وسدّ حاجات الفقراء منهم والمهملين . وخلوّ المدينة من مستشفى كثرت ضحايا الوباء ، ولاسيما في الاسر الفقيرة وبلغ الراهبات التعب من خدمة المرضى في البيوت.

وفي ثاني كانون الاول سنة ١٨٨١ أنشيء مستوصف في محلة الميدان على يد الاخت مينار (Minart) توزع منه الادوية في ثلاثة ايام من الاسبوع على

مئتين وخمسين مريضاً من الفقراء . وكان الناس يذكرون الراهبات بخير في كل مجلس ويثنون عليهن لآلئ الثناء . وقد قالت لهن سيدة مسلمة من ذوات النباهة والمحتد الكريم في حديث لها معهن: ما بنات المحبة الّا ملائكة الرحمة ارسلهن الله الى الناس معزيات في الحزن ، ومقويات في الاوهان ، وعاضدات للبائس ووصيات على اليتيم . لقد ملأتن القلوب فرحاً بما تعملنه من جميل المعروف والعناية الى الجميع.

بعد حوادث ١٨٦٠ وجّه الاب تاجان عزيمته الى تجديد ابنية الرسالة وجدّ في ذلك كل الجدّ دائب السعي لا يطمئن جنبه الى مضجع. فبنى الجانح الوسط الذي بازاء الكنيسة واشترى عدة بيوت تجاه واجهة الدير على طولها ونقضها ، ورفع في مواضعها البناء الذي يشتمل اليوم على قاعات الدرس الثلاث المدشنة عام ١٨٨١.

ثمّ سافر الى فرنسة التماساً للراحة ، واستحصالاً لمال يتمّ به ما بدأه من الاعمال . فحال دون رجوعه حائل المنون . اصابه سرطان في المعدة استنزف حياته فادركته الوفاة عام ١٨٨٣ ، وهو في دير المرسلين الامّ في باريس . فلمّا انتهى نعيه الى دمشق قامت فيها قيامة الحزن واستولى الاسف على جميع عارفيه، واكبروا الرزء به لما كان له من كثرة الحسنات وما فقدوا به من ناصر قويّ لكل مشروع خيري. وهاك ما كتبه عن ذلك السيد كروزه في بعض رسائله: « فاجأنا هذا الخبر الفاجع ففتت اكبادنا جزعاً واغرقنا في لجة الحزن . وامست الشام كلها في اسف على الفقيد . لقد فقدنا به صديقاً حميماً واباً حافل الفؤاد بالعطف والحنان . فيا للفجيعة ! ويا للخسارة البالغة ! »

وفي رسالة اخرى بتاريخ ١٢ تشرين الثاني سنة ١٨٨٥ اطنب في رثائه معدّداً فضائله الزاهرة وخلاله الباهرة ومآثره السائرة . ولاسيما علوّ همته وثابت عقده وماضي صريمته . وذكر في جملة الادلة على غيرته الرسولية ومحبته للقريب حادثاً وقع له في حلب . قال : « استيقظ الاب تاجان صبيحة يوم على قصف المدفع. وزمزمة الرصاص ، فاذا المدينة في قبضة الخوف والناس يفزعون الى دار الرسالة . ففتح لهم الابواب . وفي اقلّ من ساعتين بلغ عدد اللاجئين اليها

٦٠٠ نفس . فلمّا نفد ما عنده من القوت وامتنع الخروج لامتيار الطعام لاشتداد الخطر ، فكّر في وجوه الحيلة فلم يهتدِ الى شيء يكون معه في امن من الخطر . فاخذ كتاب صلاته وخرج وحده يتخطى بين الاخطار في الشارع حتى انتهى الى دار القنصل الفرنساوي ، فلماّ رآه القنصل ومن عنده من الجالية الإفرنسية استغربوا قدومه على هذه الحال وعدّوه اسرافاً في الجرأة وحماقة وصاحوا ووقعوا عليه باللوم قائلين : ما نحمد اقتحامك الخطر وان سلمت . قد خرجت عن سنن الفطنة والحذر . قال: ما لكم والعذل ! انّ في دار الرسالة ٦٠٠ نسمة بلا طعام ارسلوا اليهم ما يأكلون ثم قولوا ما شئتم . قال القنصل: طب نفساً فانّا الساعة نحمل اليهم ما يأكلون . فشكر له وهمّ بالانصراف . فنعه بعض من حضر خوفاً عليه من الخطر فلم يملكوا ازالته عن عزمه . فاكرهوه على خلع ملابسه الاكليريكية وجعلوا عليه اللباس القنصلي وارسلوه بخفارة قواسين من رجال القنصل مسلّحين . فلمّا انتهى الى دار الرسالة ، وعليه تلك الملابس ، تعجب الناس واقبلوا يهنئونه بالسلامة ويحيّونه بتحية الشكر ويلقبونه بمجير الملهوفين ومطعم الجياع . وبعد ساعة جاءتهم الميرة فحصلت لهم النجاة من الجوع .»

خلف الاب تاجان الاب كروزه ، فأسس المدرسة الداخلية وبنى المساكن المشرفة على باب الدير وابراج الكنيسة الثلاثة . وجدّد نظام المدرسة وجعل التلامذة ثلاث طبقات: داخليين ، ونصف داخليين ، وخارجيين اتوها من المدرسة المجانة باجرة يسيرة فكافأة لاتعابه الطويلة الشاقة اهدت اليه وزارة المعارف الافرنسية وسام المعارف . ثم سيم اسقفاً واسندت اليه القصادة الرسولية في الحبشة . فغادر دمشق في تشرين الاول عام ١٨٨٨ ، مخلفاً اجل ذكر واعمّ اسف . وهو اليوم في مداغسكر الجنوبية قائماً بالاعمال الرسولية متمتعاً على الفاقة . وقد انعمت عليه الحكومة الافرنسية برتبة فارس من جوقة الشرف اعترافاً بفضله واثابة لخدماته الجليلة في سبيل التمدن . واهل مداغسكر يلقبونه « بالذي لا يموت » . اليك ما قاله عنه حضرة الاب المحترم رئيس الجمعية العازرية العام : « ان السيد كروزه بلحيته البيضاء المرسلة الى اسفل صدره ،

وبقامته الطويلة المتناسبة الاعضاء ، ومنطقه الواضح الرزين ، يتصور لاهل تلك البـلاد كنسخة من صورة الآب الازلي فيلقبونه لذلك : « بالرجل الذي لا يموت .»

وخلفه في رئاسة دير الشام الاب كليانت الى عـام ١٨٩٨ فبنى غرفتين واسعتين للمنام ، لما رأى من تزيد الطلبة الداخليين. وفي عهد رئاسته استقدم الاب رول (Roulx) وهو استاذ واسع العلم متلهب الذكاء حسن التدريس عطأفاً عليه . انصرف بهمّه الى توسيع الدروس وترقيتها وقد تناول نظامهـا البيان والخطابة.

ثم صارت الرئاسة الى الاب برزدوس من عـام ١٨٩٨ – ١٩٠١ فعزّز الدروس ورقّى العلوم البيانية وضبط النظام اكمل ضبط.

وخلفه الاب لوران وكان طلق المحيا بشوشاً ظريف المعـاشرة شابًا بهمّته ونشاطه على اوهان بدنه وتقدمه في السن . اكبَّ على العمل متجرّداً فيه لا ينزع الى راحة ولا يقعده خوف من تعب . رأى عدد التلاميذ يزداد على زيادة البناء فهيّأ معدَّاته وبنى نصف الطبقة السفلى من الجناح الجديد.

وفي سنة ١٩٠٣ احتفل يوم عيد المنصرة لوضع الحجر الاول من المستشفى الفرنساوي «سان لويس» الذي اسسته الاخت مركوت رئيسة دير الرحمـة في دمشق .وتوفي الاب لوران في فرنسة عاشر حزيران سنة ١٩٠٥ فخلفه في الرئاسة الاب رومون . وكان قد مارس التعليم سنين عديـدة وحصلت له المهارة في اساليبه فايقظ في المدرسة نهضة جديدة ، وبالغ في تنظيم حركاتها وضبط قوانينها وقرّب موارد العلم وسهّل الى مطالبه . واتمّ بناء الطابق الاسفل من الجناح الذي بدأ به الاب لوران . وعند تمام سنتين لرئاسته سمي زائرًا لاقليم سورية.

وولي الرئاسة بعده الاب لاكيز (Laquieze) من عام ١٩٠٧ – ١٩٠٩ ، فأسس نادي الشباب الكاثوليكي المتمتع اليوم بملء النضارة والنجح .وفي مدة رئاسته صارت الى العازريين ادارة مدرسة القديس جرجس في محلة الميـدان ، تولاها الاب عون فساسها احسن سياسة وبلغ بهـا مرتبةً من الرقي استوجب عليها شكر الجميع.

وفي سنة ١٩٠٩ صارت الرئاسة الى الاب البيسون وكان من قبل منقطعاً الى الدرس ، واشتغل مدة بتعليم الصف الرابع ثم بتدريس العلوم . فلم يجل في خاطر احد انه سيبلغ الغاية التي بلغها من جودة الادارة والتدبير . فلما شرع في العمل اذا هو الرجل الجامع بين العلم والادارة ، فاتمَّ بناء الجناح الجديد ، وانشأ فيه قاعة الاعياد والحفلات ، ونصب فيها مسرح التمثيل . واعتباراً لفضلة وحصافته وجميع مناقبه القيت اليه مهمة زائر اقليمي ، فظلَّ ناهضاً باعبائها الى آخر ايامهِ . توفاه الله في تشرين الثاني سنة ١٩٢٠ .

وخلفه الاب غرو من ١٩١٩ — ١٩٢٧ . هذا الاب الفاضل انصرف مدة ٢٤ سنة الى تعليم الشباب الدمشقي وتهذيبه لا يشفق على طرفه من سهر ، ولا على عقله من كدّ وتعب . وهو الذى نقّح نظام الدروس ضامناً تهيِّ التلاميذ للبكالورية الافرنسية . فصار فوز التلاميذ بها مطرداً الى اليوم . واسطع دليل على ذلك ان المدرسة قدمت لامتحان البكالورية ٢٨ مرشحاً فلم يخبط منهم سوى ثلاثة مرشحين . وهكذا قل في البكالورية السورية التي أُوجدت منذ سنتين ، فان المدرسة قدّمت لامتحانها سبعة مرشحين عام ١٩٢٧ فظفر بالشهادة خمسة منهم وخبط اثنان . ثم قدّمت سبعة عام ١٩٢٨ فرجع السبعة فائزين .

واتمّ الاب غرو مشروع سلفه فاقام في جناح الدار بناية مربعة تحوي غرفة الطبيعيات ومختبر الكيمياء . وبنى في الطبقة العليا قاعة الاجتماع والمحاضرات واكمل الاروقة وزانها بصفوف من اشكال الرسوم الانسانية من تدمرية وحورانية . وكلّل الصرح المدرسي الجميل بدرابزين بديع التخريم . فاصبح صرحاً فخماً حسن الهندسة متقن البناء لطيف الزينة مستوفياً لكل شروط المدرسة العصرية من كثرة القاعات واختلافها وترتيبها الى حسن الزينة وانفساح الساحات وغزارة الماء وصحة الهواء .

ولراهبات المحبة في الشام مدرسة كبيرة في ديرهنَّ يثقفن فيها ما يُربي على ٥٠٠ طالبة داخلية وخارجية ، وهي تهيِّ الدارسات للشهادتين الابتدائية والعالية يفوز بها كل سنة اكثر المرشحات . ولهنَّ ايضاً مدرسة لورد القائمة في حيّ قصّاع ، في قلب بقعة خضراء تسرق بحسنها الطرف يدرّس فيها الدروس

الابتدائية لاكثر من مئتي طالبة. وهي من هندسة الاب غرو ومشاريعه الخيرية، ولم تجهل الحكومة السورية قدر خدماته الجليلة فاناطت بصدره وسام الاستحقاق السوري.

وايضاً لهنَّ مدرسة ابتدائية مجانة انشأنها منذ عدة سنين، معروفة بمدرسة القديس انطونيوس، يتخلف اليها ١٢٠ ولداً لتلقي مبادئ العربية والافرنسية. اضف الى هذه المؤسسات الخيرية، مأوى الاولاد اللقطاء. يقوم فيه بنات المحبة باعباء التربية الجسدية والروحية بمحبة لا تستوفى بوصف وحنان ما بعده حنان.

هذا بعضٌ من عدٍّ من حسنات ابناء وبنات القديس منصور في العاصمة السورية. حسبهم فضلاً انهم يوزعون خبز التعليم والتهذيب على اكثر من ١٥٠٠ ولد ويقومون بتربية عدد كبير من اليتامى واللقطاء.

فاذا رأينا الدمشقيين يستقبلون هذا العيد المئوي بثغور بارقة ووجوه اشرق فيها صباح البشر فلا بدعَ، لان الخير الذي تدفق عليهم مدة قرن من الرسالة العازرية والمنافع الجليلة التي اثمرتها لهم غيرة راهبات المحبة لجديرة بان تملأ قلوبهم بهجةً وغبطة وتوقظ في صدورهم عواطف الشكر، وتبسط السنتهم بالمدح والثناء. انه ليس في العطايا اعظم من العلم، ولا في الخدمة اجلُّ من خدمة الروح، ولا في المهن اشقَّ من مهنة التعليم. وهؤلاء المرسلون والمرسلات دائبون منذ عشرات السنين على نشر انوار العلم في البلدان السورية، ومتقيدون بخدمة الارواح، وحابسون انفسهم على التعليم، وعاكفون على مؤاساة الحزانى ومداواة الاعلاء والاهتمام بشؤون الفقراء، وهم يفتحون قلوبهم قبل منازلهم لايواء الايتام، واحضانهم قبل ملاجئهم لاحتضان اللقطاء.

كم في الشام اليوم وكم كان فيها في الامس من سيد وسيدة، اناطا العازريون والعازريات بأجيادهم قلائد العلم وزانوا عقولهم وقلوبهم بزينة التثقيف والتأديب، فحقَّ لهم ان يفاخروا باولئك العملة الناشطين الذين منذ قرن يعملون لعظم سورية ومجد فرنسة بلا خلل ولا فتور. وان يشيدوا بفضلهم ويقابلوا جميل صنعهم بجميل الثناء.